جـــامعة تـــكـــريـــت
كلية العلوم الاسلامية
قسم الفقه واصولـــه
المرحلـــة الثانيـــة

المادة : السيرة النبوية
مدرس المادة: م. عمر سبتي حسن
الكورس الاول / المحاضرة التاسعة

السيرة النبوية

عـرض الرسـول ﷺ نفسـه علـى القبائـل وبـدء إسـلام الأنصار ، بيعة العقبة الأولى ، بيعة العقبة الثانية

عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل وبدء إسلام الأنصار

كـان النّبـي صـلّى الله عليـه وسـلم، خـلال هـذه الفتـرة كلهـا، يعـرض نفسـه فـي موسـم الحـج مـن كـل سـنة علـى القبائـل التـي تتوافـد إلـى البيـت الحـرام، يتلـو عليهم كتاب الله ويدعوهم إلى توحيد الله فلا يستجيب له أحد.

يقـول ابـن سـعد فـي طبقاتـه: ((كـان رسـول الله صـلّى الله عليـه وسـلم يـوافي الموسـم كـل عـام يتّبـع الحجـاج فـي منـازلهم فـي المواسـم بعكـاظ ومجنـة وذي المجـاز، يـدعوهم إلـى أن يمنعـوه حتـى يبلـغ رسـالات ربّـه ولهـم الجنـة، فـلا يجـد أحـدا ينصـره، ويقـول: «يـا أيهـا النـاس قولـوا لا إلـه إلا الله تفلحـوا وتملكـوا بهـا العـرب وتـذلّ لكـم العجـم، وإذا آمنـتم كنـتم ملوكـا فـي الجنـة» ، وأبـو لهـب وراءه يقـول: «لا تطيعـوه فإنـه صـابئ كـاذب» ، فيـردون علـى رسـول الله أقـبح الـرّد ويؤذونه)) .

وروى ابـن إسـحاق عـن الزهـري: ((أنّ النّبـي صـلّى الله عليـه وسـلم أتـى بنـي عـامر بـن صعصـعة، فـدعاهم إلـى الله عـزّ وجـلّ، وعـرض علـيهم نفسـه، فقـال رجـل مـنهم يقـال لـه بيحـرة بـن فـراس: والله لـو أنـي أخـذت هـذا الفتـى مـن قـريش لأكلـت بـه العـرب، ثـم قـال: أرأيـت إن نحـن بايعنـاك علـى أمـرك ثـم أظهـرك الله علـى مـن خالفـك، أيكـون لنـا الأمـر مـن بعـدك قـال الأمـر إلـى الله، يضـعه حيـث يشـاء، قـال، فقـال لـه: أفنهـدف نحورنـا للعـرب دونـك، فـإذا أظهـرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك)) .

وفي السنة الحادية عشرة من البعثة عرض نفسه على القبائل شأنه كل عام، فبينما هو عند العقبة (موضع بين منى ومكة منها ترمى جمرة العقبة) لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم الخير، فسألهم: «من أنتم؟» .

قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟

قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.

وكان مما مهّد أفئدتهم لقبول الإسلام، أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، ومعلوم أنهم أهل كتاب وعلم، فكان إذا وقع بينهم وبين اليهود نفرة أو قتال، قال لهم اليهود: إن نبيّا مبعوث الآن قد أطلّ زمانه، سنتّبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلّم الرسول هؤلاء النفر، ودعاهم إلى الإسلام، نظر بعضهم لبعض وقالوا: ((تعلمون والله إنه للنّبي الذي توعّدكم به يهود، فلا يسبقنّكم إليه)) .

فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك. ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزّ منك. ثم انصرفوا ووعدوه المقابلة في الموسم المقبل.

بيعة العقبة الأولى

وانتشر الإسلام خلال تلك السّنة في المدينة، ولما كان العام الذي يليه، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله صلّى الله عليه وسلم على بيعة النساء (أي على نمطها في البنود التي بايع النساء عليها، أي إنه لم يبايعهم فيها على الحرب والجهاد، وكانت بيعة النساء ثاني يوم الفتح على جبل الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال) وكان منهم: أسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وعبادة بن الصامت، وأبو الهيثم ابن التيهان.

وقد روى عبادة بن الصامت خبر هذه المبايعة، فقال: كنا اثني عشر رجلا، فقال لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ((تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا

ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه)) . قال عبادة بن الصامت: ((فبايعناه على ذلك)).

فلما أرادوا الانصراف بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى مقرئ المدينة.

بيعة العقبة الثانية

ثم إن مصعب بن عمير عاد إلى مكة في موسم العام التالي، ومعه جمع كبير من مسلمي المدينة، خرجوا مستخفين مع حجاج قومهم المشركين.

قال محمد بن إسحاق يروي عن كعب بن مالك: ((فواعدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق. فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم لها، نمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلّى الله عليه وسلم نتسلل تسلّل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدي.

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلّى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، فتكلم القوم وقالوا: خذ منا لنفسك ولربّك ما أحببت.. فتكلم رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام)) ثم قال: ((أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم)) .

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: ((نعم، والذي بعثك بالحق نبيا لنمنّعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة (أي السلاح كله) ورثناها كابرا عن كابر)) .

فاعترض القول- والبراء يتكلم- أبو الهيثم بن التيّهان فقال: ((يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها- يعني اليهود- فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا)) .

فتبسّم رسول الله صلّى الله عليه وسلم ثم قال: ((بل الدّم الدّم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم)) .

وقد كان قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ((أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فلما تخيّرهم قال للنقباء: أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي)) .

وكان أول من ضرب على يد رسول الله صلّى الله عليه وسلم البراء بن معرور ثم بايع القوم كلهم بعد ذلك. فلما بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: ((ارفضّوا إلى رحالكم)) ، فقال له العباس بن عبادة بن نفلة: ((والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميّلن على أهل منى غدا بأسيافنا)) ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ((لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم)) .

فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلّة قريش، فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حيّ من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله: ((ما كان من هذا شيء وما علمناه. وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: «وبعضنا ينظر إلى بعض)) .

ونفر الناس من منى، فتحرى القوم الخبر فوجدوا أن الأمر قد كان. فخرجوا في طلبنا فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر، والمنذر بن عمرو- وكلاهما كان نقيبا- فأما المنذر فأعجز القوم فهرب، وأما سعد فأخذوه، فربطوا يديه إلى عنقه بشراك رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجبهته، وكان ذا شعر كثير.

قال سعد: فو الله إني لفي أيديهم يسحبونني، إذ أقبل إليّ رجل ممن كان معهم، فقال: ((ويحك.. أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟)) قلت: ((بلى والله، لقد كنت أجير لكل من جبير بن مطعم والحارث بن أمية تجّارهما وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي)) ، قال: ((ويحك فاهتف باسمهما)) ، قال ففعلت، فجاء مطعم بن عدي والحارث بن أمية فخلّصاه من أيديهم .

قال ابن هشام: ((وكانت لبيعة الحرب حين أذن الله لرسوله في القتال شروطا سوى شرطه عليهم في بيعة العقبة الأولى. كانت الأولى على بيعة النساء، وذلك أن الله لم يكن أذن لرسوله صلّى الله عليه وسلم في الحرب، فلما أذن الله له فيها وبايعهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة)) . قال عبادة بن الصامت: ((بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم بيعة الحرب، على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم)) .

وكانت أول آية نزلت في الإذن بالحرب للرسول صلّى الله عليه وسلم قوله تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ، وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج ٢٢/ ٣٩، ٤٠] .